أثـر التكامـــل بيـن العلوم الإسلامية (الدعوة والعقيدة– أنموذجاً)

إعداد

د .حسين عبد عواد الدليمي

المدرس بكلية الإمام الأعظم/ الأنبار

dr.aldolamy@yahoo.com

issn:2071–6028

issn:2071-6028

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإنَّ الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل والأنبياء، الذين هم خيرة الله من عباده، وهي مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين، والربانيين الصادقين.. فهي مهمة عظيمة، وبسبب تلك العظمة صارت واجبة على الدعاة الأقوياء الأشداء، وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة وإعدادهم الإعداد المتكامل أمراً بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق. ومن هنا كان لا بد للداعية الذي يريد أن ينتصر في معركته على الجهل والهوى والفساد أن يتسلح بأسلحة شتى. ولعل من أهم تلك الأسلحة هو سلاح (الثقافة والعلم)، فهي العدة الفكرية للداعية، ولا يُتصور أن يعطي الداعية شيئاً وهو فاقد له؛ فإنَّ فاقد الشيء لا يعطيه.

لقد جاء هذا البحث ليثبت أنَّ ثمة ترابطاً فكرياً بين العلوم الشرعية، وأنه لا يمكن الاستغناء أحدها عن الآخر، فهي وحدة متكاملة مترابطة، ولهذا التكامل والترابط أثر بالغ في جني ثمار الدعوة الإسلامية. ولما كان الموضوع متشعباً فقد اخترت التكامل المعرفي بين (الدعوة والعقيدة)، فصاحب الدعوة لا يستغني عن معرفته بتفاصيل العقيدة الإسلامية حتى يبلغها للمدعوين، مثلما أنَّ العقدي لا ينفعه علمه ما لم يبلغه ويسعى جاهداً في تبليغه للآخرين.

ولا يخفى على طالب العلم والمعرفة الأهمية البالغة لعلم الدعوة والوقوف على معالم أصولها، كما لا يخفى على اللبيب الأهمية البالغة لعلم الدعوة، لأنَّ الوقوف على تفاصيل هذا العلم المبارك يجعل المسلم في حرز عن الوقوع في غير ما أراده الله من عقائد.

لقد تضمن البحث المتواضع بياناً لجملة من المباحث المهمة، فقد فصلّتُ في المبحث الأول مفهوم الدعوة ومفهوم العقيدة، من حيث اللغة والاصطلاح.

أما المبحث الثاني فقد تحدثتُ فيه عن أهمية الدعوة والعقيدة من خلال إيراد جملة من النصوص الشرعية.

وفي المبحث الثالث تكلمت عن أهمية دراسة العقيدة في نشر الدعوة الإسلامية، مع بيان معالم الثقافة العقدية المطلوب من الداعية معرفتها.

وفي المبحث الرابع بيّنت المعالم الرئيسة للتكامل بين الدعوة والعقيدة، معتمداً في ذلك على جملة من النصوص الشرعية، ومهتدياً بأقوال العلماء المتخصصين.

issn:2071-6028

أما المبحث الخامس فقد أشرتُ فيه إلى الدور الذي اضطلع به علماء العقيدة في نشر الدعوة الإسلامية، وقد اخترت الإمام أبا الحسن الأشعري أُنموذجاً لأولئك العلماء الفضلاء، الذين خدموا الدين الإسلامي.

ثم الخاتمة التي بينت فيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات المتعلقة بالإطار العام لهذا البحث، الذي أرجو الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا المؤتمر، وأن ينفعَ به، وأن يكتب له التوفيق والنجاح. والشكر موصول لكافة الإخوة الذي أسهموا في انعقاده. والله ولي التوفيق، هو نعم المولى ونعم النصير

المبحث الأول
مفهوم الدعوة والعقيدة
في اللغة والاصطلاح
المطلب الأول: مفهوم الدعوة

أولاً: الدعوة في لغة العرب

كلمة (الدعوة) كلمة عربية أصيلة، لها ارتباط تاريخي بلغة العرب وكلامهم، ولها أيضاً وجود ملحوظ في الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة. وحتى نطلّع على تفاصيل تلك الأمور جميعها، أود الحديث عن تلك الدلائل من خلال ثلاثة أمور:

(١) الدعوة في لسان العرب ولغتهم:

يدل النظر في المعاجم اللغوية على أنَّ كلمة (الدعوة) ترجع في استعمالها اللغوي إلى معنيين، هما:

أولهما: دعاه، يدعوه، دعاءً، بمعنى ناداه وطلبه.

وثانيهما: دعاه إلى الشيء، وللشيء: حثّه عليه[١].

وإنَّ كلمة (دعوة) تعني لغوياً: المحاولات القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل. ومن المعلوم أنَّ الأقوال لها ثقلها وصعوبتها؛ لأنَّ فيها المناداة، والطلب، والإلحاح، وفيها الجهد والعمل. هذا فضلاً عن أنَّ كلمة (دعوة) من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام، وعلى عملية نشره بين الناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد، فمثلاً: إذا قيل (هذا من

[١] لمزيد من التفصيلات اللغوية، ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٣٨٦/١٦، مادة (دعو).

issn:2071-6028

رجال الدعوة إلى الله) كان معنى الدعوة هنا: محاولات النشر والتبليغ. وإن قيل (اتبعوا دعوة الله) كان المراد بها الإسلام[١].

(٢) الدعوة في القرآن الكريم :

وردت مادة الدعوة في القرآن الكريم على سبيل التفصيل في أكثر من مائتي وعشرة مواضع، منها ثلاث وخمسون آية مكية، وسبع وأربعون آية مدنية، في ثمان وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم[٢].

وتبعاً لتلك الكثرة فقد تعددت صيغها، وعباراتها، وأساليبها، ودارت مادتها على ستٍ وسبعين صيغة[٣].

(٣) الدعوة في السنة النبوية :

وردت كلمة (الدعوة) في السنة النبوية في بعض الأحاديث النبوية، ومنها: حديث ابن عباس[٤] (رضي الله عنهما) حينما بعث رسول الله (ﷺ) معاذ بن جبل[٥] (رضي الله عنه) إلى اليمن، فقال له موصياً: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ **فَادْعُهُمْ** إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...))[٦].

وكذلك وردت لفظة الدعوة، التي تدل على الدعوة إلى الإسلام في بعض الكتب التي كان يرسلها رسول الله (ﷺ) إلى الملوك، كما في رسالته للنجاشي ملك الحبشة، وجاء فيها: ((وإني **أدعوك إلى الله** وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله...))[٧]. وكذلك أرسلَ رسولاً إلى هرقل ملك الروم، فسلّمه دحية كتاب النبي (ﷺ) الذي يقول فيه: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سلَامٌ عَلَى مَنْ

---

[١]ينظر: أسس الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، للدكتور عمر يوسف حمزة، ص١٣ .

[٢]ينظر: استعمالات مادة الدعوة في القرآن الكريم، للدكتور سلمان سلامة، ص١٢ .

[٣]ينظر: الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، للدكتور محمد عبد المولى جمعة، ص٢ .

[٤]هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٤٢٣.

[٥]هو أبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي، أعلم الصحابة بالحلال والحرام، قال المدائني: مات معاذ بن جبل بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٦٥٠ .

[٦]أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، برقم (١٤٩٦) ١٢٨/٢- ١٢٩، من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما).

[٧]دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، ٣٠٨/٢ .

issn:2071-6028

اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ **فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ**، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ...))[1].

وبعد هذا العرض لكلمة (الدعوة) يتبين لنا أنها كلمة أصيلة في اللغة العربية؛ حيث وردت في الكتاب، والسنة، والمعاجم اللغوية. ومن هنا اتسع مفهوم الكلمة اتساعاً كبيراً، حتى إذا طلبنا معنى الكلمة الاصطلاحي ومفهومها وجدنا اصطلاحات كثيرة، فكلٌ يعرّفها بما يستطيع، حسب فهمه وإدراكه. وهو ما سنتعرف عليه بعد قليل.

ثانياً: الدعوة في الاصطلاح

هناك تعريفات عديدة تتعلق بـ(الدعوة الإسلامية)، وربما اقتربت تلك التعريفات المختلفة التي أحصيتها من خمسة عشر تعريفاً، وهي مختلفة في الدلائل والألفاظ[2]. غير أنني طلباً للاختصار أود الإشارة إلى خمسة تعريفات متنوعة، مع التأكيد على اختياري للتعريف الذي أراه مناسباً في آخر المطاف.

(١) قال ابن تيمية (رحمه الله) في تعريفها: ((الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله،

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ))، برقم (٤٥٥٣) ٦/٣٥ من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما).

[2] من تلك التعريفات عدا ما سأذكره في صلب البحث، ما عرّفه الدكتور علي عبد الحليم محمود في كتابه (المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله) ص١٦٥، بقوله: ((هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وطاعتهم فيما أمروا به، والانتهاء عمّا نهوا عنه، وتصديق ما أخبروا به عن الله سبحانه وتعالى)). وقال الأستاذ البهي الخولي في تعريف الدعوة في كتابه (تذكرة الدعاة) ص٢٧، إنها: ((نقلُ أمة من محيط إلى محيط)). ومن التعريفات أيضاً ما عرّفه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم في كتابه (الدعوة الإسلامية، منهجها ومعالمها) ص٦، بقوله: ((هي تبليغ هداية الله تعالى إلى خلقه في ضوء ما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والسيرة النبوية العطرة، وما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين)).

والملاحظ هنا: أنَّ العلماء قد تكلموا في تعريف الدعوة إلى الله أو الدعوة الإسلامية كل حسب نظرته ومفهومه لحقيقتها. فتناولت التعاريف طبيعة وموضوع الدعوة ومهامها وأهدافها وأساليبها ووسائلها، فكانت التعريفات أقرب إلى التعريف بالوصف منها إلى التعريف بالحد الذي يخرج به محترزات التعريف. وسببُ ذلك: أنَّ الدعوة أقرب إلى التطبيق العملي منها إلى التدوين العلمي، علاوة على أنَّ الدعوة شديدة الاتصال بجميع فروع العلوم الشرعية، فهي جزء من التطبيق العملي لكل منها. ينظر: العلاقة بين الفقه والدعوة، ص٢٨ .

issn:2071-6028

وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه))[١].

(٢) قال العلامة الشيخ علي محفوظ في تعريف الدعوة الإسلامية: ((حثُّ الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل))[٢].

(٣) قال الأستاذ الدكتور أحمد غلّوش في تعريف الدعوة الإسلامية: ((هي العلم الذي تُعرفُ به المحاولات الفنية الهادفة إلى تبليغ الناس الإسلام، بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق))[٣].

(٤) قال الأستاذ الدكتور محمد الراوي في تعريف الدعوة الإسلامية: ((هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً تجدد على يد محمد (ﷺ) خاتم النبيين كاملاً وافياً؛ لصلاح الدنيا والآخرة))[٤].

(٥) قال الأستاذ محمد أمين حسن في تعريف الدعوة الإسلامية بأنها: ((تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولاً وعملاً، في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم))[٥].

❖ **التعريف المناسب:**

لعلَّ أنسب تعريف للدعوة الإسلامية مما يجب أن يكون جامعاً مانعاً أن يقال في تعريفها ((هي عرض الداعية خصائص الإسلام على الناس، بدراية تامة، في أسلوب يناسب حال المدعوين)). وهذا التعريف اخترته تبعاً لاختيار بعض الباحثين[٦]، والله أعلم.

المطلب الثاني: مفهوم العقيدة

أولاً: تعريف العقيدة لغة:

العقيدة في اللغة مأخوذة من العَقْدِ، وهو الرَّبطُ، والإبرامُ، والإحكامُ، والتَّوثقُ، والشَدُّ بقوة، والتماسُكُ، والمراصّةُ، والإثباتُ، ومنه اليقين والجزم.

---

[١] الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٥٧/٦ .

[٢] هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للأستاذ الكبير الشيخ علي محفوظ، ص١٧.

[٣] الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، للدكتور أحمد غلوش، ص١٠ .

[٤] الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، للدكتور محمد الراوي، ص١١ .

[٥] خصائص الدعوة الإسلامية، للأستاذ محمد أمين حسن، ص١٧ .

[٦] ينظر: المصدر السابق، ص٦٠ .

issn:2071-6028

والعَقْد نقيض الحل، ويقال: عَقَده يعقِده عَقْداً، ومنه عُقْدَة اليمين والنكاح، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾[1][2].

ثانياً: تعريف العقيدة اصطلاحاً:

ابتداءً يؤكد العلماء أنَّ العقيدة تعدُّ الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. والعقيدة في الدِّين ما يُقْصَدُ به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. والجمع: عقائد.

وذكر العلماء (رحمهم الله تعالى) أنَّ العقيدة ترتبط بمسألة القلب، وأي شيء يُعتبر معتقداً للإنسان لابد أن يكون منبعه القلب، سواء كانت العقيدة ضالة أو صحيحة، ولذلك فإنَّ مسائل الاعتقاد منبعها القلب.

ولذلك عرّف بعض العلماء العقيدة في الاصطلاح:

بأنها الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك.

ومعنى ذلك: أنَّ العقيدة هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شك لدى معتقده، ويجب أَن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يُسَمى عقيدة. وسميت (عقيدة)؛ لأَنَّ الإنسان يعقد عليها قلبَه[3].

وقال آخرون في تعريف العقيدة الإسلاميَّة:

بأنها الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وأُلوهيته، وأَسمائه، وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والإتباع لرسوله (ﷺ)[4].

ومن العلماء من قال في تعريفها:

بأنها مثلٌ عليا يؤمن بها الإنسان، ويعتقدها، ويدين بها، فيضحي من أجلها بماله ونفسه وما يملك.

---

[1] سورة المائدة، الآية ٨٩ .

[2] ينظر: القاموس المحيط، ص٣٨٣ ، وتاج العروس من جواهر القاموس ٤٢٦/٢، مادة: عقد

[3] ينظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ص١٠.

[4] ينظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ص١٠.

issn:2071-6028

والعقيدة الإسلاميَّة إذا أُطلقت فهي عقيدة أَهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وهذه التعريفات المتقدمة هي للعقيدة الإسلامية، أما تعريف (علم العقيدة) باعتباره علماً شرعياً، فإنه:

((علم يُقتدرُ معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشُبه))[3].

المبحث الثاني

أهميـــة

الدعـوة والعقيـدة

من المعلوم أنَّ هناك أهمية بالغة لعلمي (الدعوة) و(العقيدة)، بل إنَّ هذين العِلمين يعدان من أهم العلوم الشرعية على الإطلاق. ونريدُ هنا الوقوف على تلك الأهمية من خلال الاهتداء بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية. وذلك وفق الآتي:

المطلب الأول: أهمية الدعـوة

الفرع الأول: أهمية الدعوة من القرآن الكريم

الحديث عن الدعوة الإسلامية وأهميتها في القرآن الكريم ذو شجون، وقد يأخذنا الحديث عن ذلك مأخذاً يخرجنا عن الاختصار المطلوب في هذا البحث، ولذلك أريد أن أعدد بعض النقاط المتعلقة بهذا الجانب، حسب ما يأتي:

١. إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسه الدعوة إلى الإسلام، هو الحد الفاصل بين المؤمنين وبين المنافقين[4]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[5] ثم قال الله سبحانه وتعالى بعد ذلك: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ

---

[1] سورة آل عمران، الآية ١٩ .

[2] سورة آل عمران، الآية ٨٥ . وللمزيد، ينظر: المصدر السابق.

[3] المواقف، للإيجي، ٣١/١ ، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، لشمس الدين السفاريني ٤/١ .

[4] ينظر: تفسير القرطبي، المسمى: الجامع لأحكام القرآن ٤٧/٤ .

[5] سورة التوبة، الآية ٦٧ .

issn:2071-6028

ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[1].

٢. إنَّ الدعوة إلى دين الله [الإسلام] كانت الوظيفة العظمى لرسولنا الكريم (ﷺ)، وإنه قد كرّس كل حياته (ﷺ) لخدمة الدعوة، ولتحقيق مصالحها، فأمر الخلق بكل ما أمر الله تعالى به، ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه، فأمرَ بكل معروف، ونهى عن كل منكر. وقد تعرض بسبب ذلك إلى شتى أصناف الظلم والأذى، فصبر (ﷺ). وهذه الوظيفة هي التي أشار إليها ربنا جل جلاله بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

وكانت الدعوة أيضاً وظيفة كل الأنبياء والرسل، الذين أرسلهم الله إلى الناس، وكانوا يصبرون عن كل الظلم والأذى الذي يتعرضون له بسببها؛ فلولا عظم أهمية الدعوة وشدة الضرورة إليها لما رضي الله لصفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين الصبر على الأذى والتكذيب في سبيل تحقيق أهداف الدعوة ومقاصدها.

٣. لقد جعل الله الخيرية في هذه الأمة بسبب أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

٤. ثناء الله تبارك وتعالى على الدعوة، وجعلها أفضل ما يمكن أن يتكلم به العبد المسلم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[4].

٥. دعا الله سبحانه وتعالى إلى أن تقوم أمة النبي (ﷺ) بواجب الدعوة إلى دينه، وجعل ذلك واجباً على جميع أفراد الأمة المحمدية، قال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

---

[1] سورة التوبة، الآية ٦٨ .

[2] سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ – ٤٦ .

[3] سورة آل عمران، الآية ١١٠ .

[4] سورة فصلت، الآية ٣٣ .

issn:2071-6028

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]. على قول من جعل (من) في قوله (منكم) بيانية، وليست تبعيضية، وهو الراجح[2].

٦. إنَّ الدعوة إلى منهج الله، والقيام بواجب أصلاح المجتمع سبب لمنع العذاب والهلاك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[4].

الفرع الثاني: أهمية الدعوة من السنة النبوية

هناك جملة من الأحاديث النبوية التي أوضح النبي (ﷺ) فضل الدعوة والداعي من خلالها. ونحن نشير إلى أهمها من خلال ما يأتي:

١. أوضح النبي (ﷺ) عظم أجر الدعوة إلى الهدى، وعظم وزر الدعوة إلى الضلالة. وقد صحَّ عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ النبي (ﷺ) قال: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَه، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ آثَامِهِمْشَيئاً))[5].

قال الإمام النووي: الحديث صريح أنَّ من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه،أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدي والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم،أو عبادة،أو أدب،أو غير ذلك[6].

٢. أمر النبي (ﷺ) أن يبلّغ المسلم من أمر هذا الدين العظيم ما يستطيع تبليغه، مهما قلَّ، وما ذلك إلا لأهمية الدعوة إلى الله. وقد صحَّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنَّ النبي (ﷺ) قال: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...))[1].

---

[1] سورة آل عمران، الآية ١٠٤ .

[2] ينظر: أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٢٩٩ وما بعدها.

[3] سورة هود، الآية ١١٧ .

[4] سورة الأعراف، الآية ١٦٥ .

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: من سنَّ سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤).

[6] ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٧/١٦ .

issn:2071-6028

٣. بيّن النبي (ﷺ) عظم مثوبة الداعية، الذي يهدي الله أقواماً على يديه، وإن قلَّ عددهم. وقد صحَّ عن النبي (ﷺ) أنه قال لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ((...فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))[٢].

المطلب الثاني: أهمية العقيدة

من المؤكد عليه عند الباحثين أنَّ علم العقيدة هو أساس العلوم الشرعية؛ لأنَّ جميع العلوم الشرعية مبنية على هذا العلم؛ لأنه إذا لم يثبت وجود خالق، عالم، قادر، مرسِل للرسل، ومنزِل للكتب، لم يتصور علم التفسير، والحديث، ولا علم الفقه والدعوة... إلخ. فكل تلك العلوم متوقفة على علم الكلام، ومقتبسة منه، والآخذ فيها بدونه كمن يبني على غير أساس.

ومن هنا فقد اكتسب هذا العلم أهمية بالغة، وصارت دراسته تمتاز بأهمية بالغة لأنها تعني الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة اليقين، وفيها إرشاد للمسترشدين بإيضاح السبيل لهم إلى عقائد الدين.

وحفظ عقائده عن أن تزلزلها شُبه المبطلين[٣].

أما أهمية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم، على وجه التفصيل فلعلها تتضح من خلال بيان الآتي[٤]:

١. تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تبارك وتعالى، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرّمه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ... ﴿٧٠﴾ ﴾[٥]. وقد خلق الله الإنسان ليعمر الأرض، وجعله الله عز وجلَّ خليفته فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴿٣٠﴾ ﴾[٦].

فحريٌ بهذا الإنسان أن لا يعبد إلا الله تعالى، وحريٌ به أن يتحرر من العبودية لغير الله سبحانه: كما قال عز وجل: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٧].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، برقم (٢٩٤٢).

[٣] ينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، للدكتور قحطان الدوري، ص١٦ .

[٤] المزيد من التفصيل، ينظر: المصدر السابق.

[٥] سورة الإسراء، الآية ٧٠ .

[٦] سورة البقرة، الآية ٣٠ .

[٧] سورة القصص، الآية ٨٨ .

issn:2071-6028

٢. تحرير العقل من التقليد الأعمى والأوهام. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾[١]. وقد احترم ديننا التفكير، قال عز وجل: ﴿...قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٢]. ودعا إلى إعمال العقل، كما قال تعالى: ﴿...قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[٣].

٣. تهذيب السلوك والأخلاق. ولا يخفى على اللبيب تأثير العقيدة الإسلامية على الفرد، وكذلك المجتمع. فإنَّ العقيدة تجعل المسلم عزيز النفس ﴿...وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٤]. وتجعله متواضعاً للمؤمنين ﴿...أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[٥]. والعقيدة أيضاً تجعل المسلم مؤثراً غيره على نفسه ﴿...وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٦].

وهكذا جميع الأخلاق الفاضلة، والمزايا الكريمة، حتى يكون مسلماً مثالياً، تكون العقيدة الإسلامية الأساس الأول في بناء شخصيته، ويكون عضواً فاعلاً ونافعاً في المجتمع، يهدف إلى مرضاة الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال صالحة.

المبحث الثالث

أهمية دراسة العقيدة

في نشر الدعوة الإسلامية

إنَّ أول ما يلزم الداعية المسلم من عدة فكرية أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول، باسقة الفروع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

والمتعين على الداعية التعرف على ثقافة الإسلام ومصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به، المنبثقة عنه. وهذا أمر منطقي؛ فإنَّ الداعية الذي يدعو إلى الإسلام لابد أن يعرف: ما الإسلام الذي يدعو إليه؟ ولابد أن تكون هذه المعرفة معرفة حقيقية عميقة، لا سطحية مضطربة.

---

[١] سورة لقمان، الآية ٢١ .

[٢] سورة الأنعام، الآية ٥٠ .

[٣] سورة آل عمران، الآية ١١٨ .

[٤] سورة المنافقون، الآية ٨ .

[٥] سورة المائدة، الآية ٥٤ .

[٦] سورة الحشر، الآية ٩ .

issn:2071-6028

ولهذا كان لابد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن ينابيعه المصفاة، بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وبهذا يكون الداعية على (بينة من ربه) وتكون دعوته (على بصيرة) كما أراد الله لرسوله ﷺ ومن تبعه واهتدى بهداه﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1][2].

فما هو المقصود بدراسة العقيدة التي تنفع الداعية أثناء مسيرته الدعوية؟ إنَّ دراسة العقيدة لا تعني دراسة منظومات المتأخرين في علم التوحيد وشروحها، مثل علم الجوهرة أو الخريدة ونحوهما، ولا تعني أيضاً دراسة العقائد النسفية وما يتبعها من شروح وحواش، ولا دراسة المطولات الكلامية، مثل شرح المقاصد، أو شرح المواقف وما شابههما. فلم يعد كثير من مباحث هذه الكتب يحتاج إليه العقل المعاصر أو يستسيغه، ولم يعد يكفي للرد على شبهات الفلسفة الحديثة ومشكلاتها الفكرية. ولهذا يجب توفير الجهد الذهني الضخم الذي يبذل في هضم هذه الكتب، وحل ألغازها وفك طلاسمها، لما هو أجدى في الدفاع عن العقيدة وتثبتها[3].

وفضلاً عن هذا فأن المباحث الكلامية –على عمقها وتعب الذهن في فهمها واستيعابها– لا تكّون عقيدة، كل مهمتها الدفاع عن عقيدة تكوّنت بالفعل، ورد الشبهات عنها. وأكثر من ذلك أنَّ مباحث علم الكلام قد تأثرت بالتفكير اليوناني وأسلوبه في معالجة شؤون العقيدة.

ولعل هذا هو السر الذي يكمن وراءه مهاجمة أئمة السلف لعلم الكلام وأهله، وشددوا الحملة عليه.

لقد حدد الدكتور يوسف القرضاوي المفاصل العقدية التي ينبغي للداعي إلى الله مراعاتها والتعمق فيها حتى تُثمر دعوته وتكون موفقة ومسددة في وقت تشهد فيها الساحة الإسلامية صراعاً مريراً مع خصومهما المعاندين. وأهم تلك الأمور التي ينبغي مراعاتها ما يأتي:

(١) أن يكون كتاب الله تبارك وتعالى، وما بينه من صحيح السنة، هو المصدر الفذ للعقيدة المنشودة، بعيداً عن الشوائب والزوائد والفضول التي لحقت بها على مر العصور والدهور. وبهذا تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطتها، ولا نجعل آراء مدرسة معينة أصلاً يحمل القرآن عليه، وتجرّ الآيات لتأييده.

(٢) أن نتبع منهج القرآن في مخاطبة العقل والقلب معاً من أجل تكوين الإيمان الصحيح، فبناء العقيدة على العقل وحده كما هو اتجاه الفلاسفة، أو على القلب وحده كما هو اتجاه

---

[1] سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

[2] ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوي، ص٧.

[3] المصدر نفسه.

issn:2071-6028

الصوفية لا يتفق مع شمول المنهج الإسلامي الذي يقوم الإيمان فيه على اقتناع العقل، وانفعال القلب، وصدق الإرادة.

(٣) الاهتمام بأدلة القرآن التي ذكرها لإثبات معتقداته، وإقناع مدعوّيه، والرد على خصومه، وتنفيذ ما يثيرونه من شبهات ومفتريات. مثل أدلة القرآن على وجود الله التي أشار إليها مثل ابن رشد في (مناهج الأدلة) والعقّاد في (الله) ونديم الجسر في (قصة الإيمان) وغيرهم. وكذلك أدلته على التوحيد، وعلى البعث، وعلى نبوة محمد ﷺ. وكلها أدلة عقلية برهانية صريحة، وليست خطابية، أو إقناعية، كما وهم بعض المتكلمين.

(٤) صرف الهمة إلى مشكلات العقل المعاصر، والاشتغال بأمور العقيدة الكبرى، مثل: وجود الله تعالى، توحيده، النبوة، الحياة الأخرى... أما المشكلات التاريخية مثل: خلق القرآن، أو الصفات وعلاقتها بالذات: هل هي عين أم غير عين، أم لا عين ولا غير... فينبغي أن تدرس كتاريخ للفكر الإسلامي، ولا ننفق فيها من الوقت والجهد ما نحن في حاجة إليه لمواجهة معضلات زماننا.

(٥) الاستفادة من ثقافة العصر، وخصوصاً في ميادين العلوم البحتة، كالفلك والطب والفيزياء وغيرها، لتأييد قضايا العقيدة وتثبيتها. كما فعل ذلك الكثير من مؤلفي زماننا من الأجانب والمسلمين، مثل صاحب (العلم يدعو إلى الإيمان)، وأصحاب (الله يتجلى في عصر العلم) وصاحب (قصة الإيمان) ومؤلف (الله والعلم الحديث) و(الإسلام يتحدى)... وغيرها من النتاجات.

(٦) أن نتبنى طريقة السلف في وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل. وهي الطريقة التي انتهى إليها أساطين علم الكلام من الأشاعرة وغيرهم، مثل أبي الحسن الأشعري في (الإبانة) والغزالي في (إلجام العوام عن علم الكلام).

(٧) تتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام وتلاميذهم، والرد عليها رداً علمياً فكرياً بلسان العصر[١].

وإذا تبين ذلك، فإنَّ مسائل العقيدة الإسلامية وجزئياتها المتنوعة لابد أن تكون حاضرة في ذهن الداعي إلى الله. وكما قلت سابقاً فإنَّ الجهل بتلك المسائل سيحرج الداعي، وعندئذ ستخلو ساحته مما يدعو إليه. ومن هنا يتضح المعنى الرائع لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[٢].

---

[١] ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوي، ص٨٠ – ٨١ .

[٢] سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

issn:2071-6028

لذلك رتّب النبي (صلى الله عليه وسلم) الأولويات في الدعوة عند معاذ بن جبل (رضي الله عنه)، فقال له: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ **فَادْعُهُمْ** إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...إلى آخر الحديث))[1]. وهذا الترتيب الشرعي في الدعوة يؤدي إلى قبول الناس لها، والعمل بمقتضاها من التشريعات والأحكام.

وهذا مثل جذور الشجرة وجذعها وفروعها وأوراقها، فعلى قدر ترسخ الجذور يكون النمو في الخارج، لذلك نجد القرآن يربط بين الجذور العقدية والتطبيقات الشرعية، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾[2].

ويتضح من ذلك أنه لا يمكن الانضباط الشرعي في الدعوة إلى السلوك والأخلاق إلا بالشعور بقضية عقدية مهمة، وهي هنا قضية البعث بعد الموت، ثم الحساب على كل ما سبق.

يقول الإمام ابن قيّم الجوزية في معرض حديثه عن الصوم: ((...ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخّر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطّنت النفوس على التوحيد والصلاة...))[3].

وهكذا هو شأن الآيات المكية، كان يغلبُ عليها الطابع العقدي، بينما يغلب على الآيات المدنية طابع الدعوة إلى التشريعات، بعد ترسيخ العقيدة، فدعوة الناس إلى القضايا الفرعية –مع أهميتها– قبل التذكير بقضايا العقيدة وإحيائها، كالحرث في الماء، والزراعة في الهواء[4].

المبحث الرابع

معالم التكامل بين

الدعـوة والعقيـدة

إنَّ صلة الدعوة بالعقيدة –فضلاً عن صلتها بالعلوم الإسلامية الأخرى– وثيقة، بل هي في غاية الوثوق، حتى أنَّ الباحث المتفحص للصور المتنوعة لذلك التكامل لا يمكن له أن يتصور انفكاكاً بينهما في أيّ مناسبة من المناسبات.

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] سورة المطففين، الآيات ١ – ٥ .

[3] زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٣٠ .

[4] ينظر: التلازم بين العقيدة والدعوة، مقالة مختصرة على الشبكة الدولية، الإنترنت، موقع إسلام ويب http://www.islamweb.net منشورة بتاريخ ٢٠٠٧/١/٢٤م.

issn:2071-6028

وقد تنوعت العلوم الإسلامية، وتعددت تخصصاتها وموضوعاتها، وكان هذا التنوع في نشأته مبنياً على طبيعة العلوم الشرعية التي تتجه في مناحٍ ثلاثة، تعدّ الأساس. وهي: (الملة) و(الشريعة) و(المنهاج)[١].

❖ **فأما الملة:**

فهي الدين، يقال: ملّةُ الإسلام، أو ملة النصرانية، أو اليهودية. وتطلق الملة على أصل الدين، أو على العقيدة. كما تطلق الملة على جملة الدين، كقوله سبحانه وتعالى ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾[٢].

وقد يطلق القرآن الكريم –أحياناً– الشرع والدين على الملة، وهي الجانب العقدي من الدين، قال تبارك وتعالى ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[٣].

فالدعاةُ إلى الله –وأولهم نبينا الكريم ﷺ– مأمورون بتبليغ الناس ملة الإسلام، لأنَّ الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس أجمعين حتى قيام الساعة[٤].

ومن هنا تتضح العلاقة التكاملية الوثيقة بين الدعوة والعقيدة، وأنه لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، لأنَّ موضوع الدعوة هو الإسلام، ومن هنا صارت مضمون العقيدة ركناً أساسياً من أركان الدعوة وأصولها، كونها تقوم على أربعة أصول، هي: موضوع الدعوة، والداعية، والمدعو، والوسائل والأساليب الدعوية[٥]. وسيأتي مزيد من التوضيح لتلك الجزئية بعد قليل.

❖ **وأما الشريعة:**

فهي[٦] في عمومها ما سنَّ الله وأمر به، كالصلاة والصوم... إلخ. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى قوله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾[٧]. قيل في تفسيرها: (الشرعة): الدين،

---

[١] تنظر تفصيلات الموضوع في كتاب (العلاقة بين الفقه والدعوة) ص٧٤ وما بعدها.

[٢] سورة ص، الآية ٧ .

[٣] سورة الشورى، الآية ١٣ .

[٤] ينظر: أصول الدعوة، ص٩ .

[٥] ينظر: أصول الدعوة، ص٩ .

[٦] للإطلاع على تفصيلات المعنى اللغوي، ينظر: لسان العرب ٢٩٩/٢ مادة (شرع).

[٧] سورة المائدة، الآية ٤٨ .

issn:2071-6028

و(المنهاج): الطريق. وقال ابن عباس (ﷺ): ((شرعة ومنهاجاً)): أي سبيلاً وسنة. وقيل: (الشرعة): الكتاب، و(المنهاج): السنة[١].

وتطلق (الشريعة) على مجموعة الأحكام الشرعية الصادرة عن الشارع. وتطلق ويراد بها الأحكام العملية، بمقابل الأحكام العقدية. كما قد يقصد بالشرع جميع الأحكام الشرعية، عقدية كانت أو عملية[٢].

ومن خلال ذلك تتضح الحالة التكاملية بين ثلاثة من أهم العلوم الإسلامية: العقيدة، والدعوة، والفقه.

❖ **وأما المنهاج :**

فهو الطريق الواضح البيّن[٣]. وجمعه (مناهج)، وكلمة المنهاج تقارب كلمة السنة في معنى الطريق. إلا أنَّ المنهاج يشتمل على معنى الوضوح. وقد تعبد الله بملةٍ واحدة، هي ملة الإسلام [التوحيد]، وبشرائع ومناهج متنوعة ومتعددة.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني[٤]: ((أصل دين –الأنبياء– واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت شرائعهم...))[٥].

ومن خلال هذا العرض تبدو الصورة التكاملية بين العلوم الإسلامية. وهي صورة تحتم على واضعي المناهج التعليمية والقائمين على رعايتها والاعتناء بها التركيز على تلك العلوم، وعدم الفصل بينها.

وإذا كانت دراسة (الملة) في الجامعات الإسلامية اليوم من اختصاص أقسام العقيدة، ودراسة (الشريعة) من اختصاص أقسام الفقه وأصوله، ودراسة (المنهج) من اختصاص أقسام الدعوة.

أقول: مع كل هذا التنوع الحاصل، فإنَّ هذه الأقسام العلمية والتخصصات الشرعية مترابطة فيما بينها، وجميعها يمثل دراسة الدين، الذي يشمل كل من الملة والشريعة والمنهج، ولا يصح الفصل بينها بحال من الأحوال، والدين لا يصح ولا يسلم إلا بها جميعاً.

والدعوة هي الجانب التطبيقي لأي علم من العلوم الشرعية، فهي لتصحيح عقائد الناس، ولتنفيذ شرائع الله فيهم في جميع المجالات. والداعية يدعو إلى الملة والشريعة والمنهج.

---

[١] ينظر: تفسير الطبري ٣٨٥/١٠ ، وتفسير الماوردي المسمى (النكت والعيون) ٤٥/٢ .

[٢] المزيد من التفصيل، ينظر: العلاقة بين الفقه والدعوة، ص٧٥ .

[٣] للإطلاع على تفصيلات المعنى اللغوي، ينظر: لسان العرب ٧٢٧/٣ مادة (نهج).

[٤] هو الإمام أبو الفضل مصري المولد والمنشأ والدار والوفاة، شافعي المذهب، توفي سنة ٨٥٢ هـ. ينظر: الضوء اللامع ٣٦/٢، وشذرات الذهب ٢٧٠/٧ .

[٥] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٨٩/٦ .

issn:2071-6028

والدارس لـ(علم الدعوة)، المهتم بدراسة تاريخ الدعوة وأصولها، ومناهجها، وأساليبها، ووسائلها، لا بد له من العناية بفهم العقيدة الصحيحة، والأحكام الشرعية العملية، كما لا بد له من الإلمام بفقه الواقع وأحوال المدعوين، وأن يكون ملماً بما يدعو إليه لتكون دعوته على بصيرة[١].

يقول الدكتور أبو الفتح البيانوني: ((ويمكنني أن أضرب مثلاً حسياً يبرز لنا صلة هذه الاختصاصات العلمية بعضها ببعض، ويكشف لنا عن مدى الترابط بينها: فإنَّ مثل الملة والشريعة والمنهج، مثل الماء الصافي، الذي ينبع من مكان معين، ثم يمشي في جداول وسواقي، يروي الأرض، وينبت الزرع، ويستقي منه الناس. فأصل النبع ومكانه يمثل الملة الواحدة الثابتة، والماء المتدفق الجاري الذي يروي الأرض وينبت الزرع ويستقي منه الناس، يمثل الشريعة الكاملة المستمرة، والجواري والسواقي المنتشرة هنا وهناك، والتي يجري الماء في إطارها، ويتمكن الناس بسببها من الاستفادة من الماء على وجه متكامل صحيح، تمثل المنهج الواضح. فإنَّ أي ضعف أو ضمور في النبع ومصدر الماء، يؤثر تأثيراً كبيراً في كمية الماء الذي يصدر عنه، فيضعف سيره في الجداول والسواقي، وتقلّ فائدته، وقد تصاب مناطق كثيرة بسبب ذلك بالجفاف والجدب...))[٢].

إنَّ مما يؤصل لحالة الترابط والتكامل بين الدعوة والعقيدة الإسلامية، هو معرفة الموضوع الذي يتحتم على كل داعٍ إلى الله القيام به. فالمؤكد عليه عند العلماء أنَّ المقصود بـ(الدعوة) عند إطلاقها: الدعوة إلى الله، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[٣].

والمقصود بـ(الدعوة إلى الله) : الدعوة إلى دينه، وهو الإسلام، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٤]. وهو الدين الذي جاء به النبي محمد (ﷺ) من ربه سبحانه وتعالى[٥].

ومعلوم أنَّ الإسلام عبارة عن ثلاثة تصورات: عقيدة، وعبادة، وأخلاق.

فالدعوة إلى الله، تعني الدعوة إلى دين الله، وهي تعني بالضرورة دعوة إلى العقيدة الصحيحة، التي يجب أن يكون عليها المسلم، من توحيد الله، وإفراده بالعبودية والربوبية. والحقيقة أنَّ هذه الصورة الرائعة من أعظم صور التكامل والترابط بين الدعوة والعقيدة. ولذلك كان هذا المنهج

---

[١] ينظر: العلاقة بين الفقه والدعوة، ص٧٧ .

[٢] المدخل إلى علم الدعوة، ص٢٩ .

[٣] سورة يوسف، الآية ١٠٨ .

[٤] سورة آل عمران، الآية ١٩ .

[٥] ينظر: أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٩ .

issn:2071-6028

التكاملي هو الأساس الذي قامت عليه دعوة الأنبياء جميعاً، وقد وضّحه القرآن الكريم توضيحاً لا لبس فيه.

فالأنبياء كلهم دعوا أقوامهم ومن أُرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه الله لهم، وهذا مفهوم عام أوضحه قول الله تعالى ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ...))[١].

وفي قوله تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً...)) إخبار منه جل وعلا بأنه بعث في كل أمة رسولاً بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه. وهذا هو معنى "لا إله إلا الله"، لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه.

وأوضح هذا المعنى كثيراً في القرآن عن طريق العموم والخصوص، فمن النصوص الدالة عليه مع عمومها قوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))[٢]، وقوله: ((وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ))[٣]، ونحو ذلك من الآيات.

ومن النصوص الدالة عليه مع الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم قوله تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ))[٤]، وقوله تعالى: ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ))[٥]، وقوله تعالى: ((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ))[٦]، وقوله: ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ))[٧]، إلى غير ذلك من الآيات[٨].

وهناك مسألة غاية في الأهمية، وهي تمثل منهج عمل للتعامل مع العقائد والمناهج الفكرية الوافدة، وعلاقة الداعية بتلك العقائد المستجدة لخصوم الإسلام.

---

[١] سورة النحل، الآية ٣٦ .

[٢] سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .

[٣] سورة الزخرف، الآية ٤٥ .

[٤] سورة الأعراف، الآية ٥٩ .

[٥] سورة ألأعراف، الآية ٦٥ .

[٦] سورة الأعراف، الآية ٧٣ .

[٧] سورة الأعراف، الآية ٨٥ .

[٨] ينظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ٧٧/١٦ .

issn:2071-6028

فإنَّ التركيز على العمل الدعوي له أثر بالغ في معرفة المناهج العقائدية المختلفة، التي غزت العالم الإسلامي في عقر داره، ولا يمكن بيان تلك المناهج والعقائد الزائفة إلا من خلال التفاني في الدعوة الإسلامية، وبيان معالمهما لجمهور الناس، بالتزامن مع الدور الحثيث في الرد على العقائد الباطلة، وبيان زيفها بالأدلة والبراهين الدامغة التي صارت جزءاً مهماً في أدبيات النقاش والحوار.

إنَّ على الدعاة إلى الدين إيضاح واقع القوى العالمية المعادية للإسلام وعقائدها المختلفة التي تهدف للنيل من الإسلام وطمس معالمه. وتتمثل تلك القوى بالمثلث الرهيب: (اليهودية العالمية) و(الصليبية العالمية) و(الشيوعية الدولية)، وهي –في الحقيقة– تختلف فيما بينها، ولكنها متفقة علينا.

وهنا ينبغي على الدعاة إلى الله التنبه لخطورة الأمر، ويجب عليها دراسة الأسباب والدوافع وراء كيدها لنا: الحقد، الطمع، الخوف، الاستعلاء... إلخ

ومن المعلوم أنَّ وسائلها في حربها علينا متنوعة، فمنها: الحرب السياسية، والحرب الاقتصادية، والحرب الفكرية. وهذه الحرب الأخيرة [الفكرية] أخطر أنواع الحروب. وهي متنوعة المضامين، يدخل فيها التبشير ومؤسساته الهائلة، ويدخل فيه أيضاً الغارة النصرانية على العالم الإسلامي[1]، وكذلك الاستشراق وأهدافه ووسائله، وما يقف خلف ذلك من سموم الفكر الاستشراقي وآثارها في عالمنا العربي الإسلامي. ولا يمكن التغافل بحال من الأحوال عن الغزو الشيوعي، والمؤسسات المشبوهة [الماسونية] وما يتفرع عنها من أخطار وأساليب ماكرة.

ولعلَّ تركيزنا على تلك الأمور وتنبيه الدعاة إلى الله على تلك الأمور لأنها صارت عقائد ومناهج واستراتيجيات لا يتغافل عنها العدو في يوم من الأيام، بل على العكس يعمل جاهداً لتنفيذها، ويتفانى من أجل اختصار الزمن للنيل من عقيدة المسلمين.

ومن هنا ينبغي التنبه على أمرين أساسيين، هما:

(١) عدم التهويل أو التهوين من شأن القوى المعادية ومخططاتها، حتى لا يؤدي ذلك إلى اليأس من مقاومتها، أو الاستهانة بها.

(٢) الاستفادة من الصراع القائم بين تلك القوى بذكاء، واستغلال الفرص المناسبة لذلك. وقد كان سلفنا الصالح يقولون: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين[2].

---

[1] من أخبث خطط التنصير هو سعيهم الحثيث لتنصير (أندونيسيا) أكبر بلد إسلامي، فضلاً عن محاولات التنصير في العالم العربي.

[2] ينظر: ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوي، ص١٢٠– ١٢١.

issn:2071-6028

إنَّ التعمق في العمل الدعوي، وما يسبقه من تعلم ودراسة للواقع يجعل من الداعي إلى الله عارفاً بواقع الأديان المعاصرة، فولوج ذلك يجعله مطّلعاً على اليهودية وتوراتها المحرفة، وتلمودها الرهيب، ونظرته إلى الأمميين وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية، وقيام الكيان الصهيوني.
وسيتعرف الداعية أيضاً على المسيحية وطوائفها وكنائسها المختلفة وما بينها من صراع، ومحاولات التقارب بين بعضها وبعض، وكذلك محاولة تقاربها من اليهودية، وهكذا.
وفضلاً عن ذلك سيتعرف على أديان الشرق الأقصى الكبرى، مثل: الهندوكية الوثنية، والبوذية، وغيرهما[1].

المبحث الخامس

دور علماء العقيدة

في نشر الدعوة الإسلامية

لعلَّ مما يؤصل لحالة التكامل بين علمي (الدعوة) و(العقيدة) أننا نجد العلماء المتخصصين بالعقيدة قد اهتموا اهتمالاً بالغاً بالدعوة الإسلامية، والسعي الحثيث لنشرها، والعمل الدؤوب لبيان معالمها للمدعوين، حتى تحسَّ وأنت تقرأ سيرة هؤلاء العلماء أنك تقف أمام علماء كبار أدركوا الحالة المثالية للتكامل بين العلوم الإسلامية جميعاً.
وحتى يخلو كلامي من حالة الإدعاء، فإنني اخترت أُنموذجاً رائعاً من علماء العقيدة الذين تفانوا في خدمة الدعوة الإسلامية في جوانب عديدة من حياتهم المشرقة. وهذا الأُنموذج هو (الإمام أبو الحسن الأشعري) رحمه الله تعالى.
فالأشعري، هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) صاحب رسول الله (ﷺ). وقد ولد أبو الحسن بالبصرة، عام ٢٦٠ هـ. دخل الإمام بغداد، وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي[2]، وعن أبي خليفة الجمحي[3]. وأخذ علم الكلام عن شيخه –زوج أمه– أبي علي الجبائي، شيخ المعتزلة، المتوفى سنة ٢٩٥هـ.
وأقام أبو الحسن الأشعري على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إماماً، ولما تبحّر في الاعتزال، وبلغ فيه الغاية، كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك. وكان هذا سبب تركه لمذهب الاعتزال.

---

[1] ينظر: ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوي، ص١٢١.

[2] هو أبو يحيى البصري، المعروف بالساجي، فقيه ومحدث، توفي سنة ٣٠٧هـ. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢٢٦/٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢٥٠/٢.

[3] هو الفضل بن الحباب البصري، شاعر نسّابة، توفي سنة ٣٠٥هـ. ينظر: لسان الميزان لابن حجر ٤٣٨/٤.

issn:2071-6028

ولعلَّ في تلك الانتقالة الفكرية أولى معالم التحرر الفكري الذي قاده لأن يكون داعية ناجحاً قضى ما تبقى من عمره في الدفاع عن منهاج الإسلام، وتفاصيل عقيدة السلف الصالح، وحرصه الشديد على تبليغها.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: ((لم يزل أبو الحسن –الأشعري– يتزعم المعتزلة ويدافع عنهم، وظل على ذلك أربعين سنة، حتى ثار عقله، ونفسُه القلقة على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه. ونشأ في نفسه ردُّ فعل ضد تأويلات المعتزلة وإمعانهم في القياس وتحكيم العقل... واقتنع بأنَّ الحق الصريح هو الذي كان عليه الصحابة (ﷺ) وسلف هذه الأمة، وهي الغاية التي ينتهي إليها العقل والتفكير العميق، بعد رحلة طويلة، وتجارب قاسية، وعثرات كثيرة، فيؤمن بفضلهم وإصابتهم فيما اعتقدوه وتلقوه عن النبي (ﷺ) وعضوا عليه بالنواجذ))[1].

لقد نهض الإمام الشعري بعد هذه الانتقالة الفكرية، وبعد ذلك التحول الفكري الرائع، نهضة مباركة قام من خلالها بواجب الدعوة إلى دين الله ومعالمه وشرعه، مدافعاً ومتفانياً في الانتصار لمذهب أهل السنة والجماعة بكل حماسة وإيمان.

ولعلَّ من يطالع سيرة هذا الإمام يجد التنوع الملحوظ في الأساليب الدعوية التي كان ينتهجها في نشر الفكر الوسطي؛ فإنه كان يقصد أهل البدع بنفسه ويجلس لمناظرتهم، فكلّمه الناس في ذلك، وقيل له: كيف تخالط أهل البدع وتقصدهم بنفسك، وقد أُمرتَ بهجرهم؟ فكان يقول (رحمه الله): إنهم أولو رئاسة، منهم الوالي والقاضي، ولرئاستهم لا ينزلون إليَّ، فإذا كانوا هم لا ينزلون إليَّ، ولا أسير أنا إليهم، فكيف يظهر الحق!![2] .

والحقيقة أنَّ هذا الفعل من هذا الإمام الجليل يعدَّ تطبيقاً عملياً لمبدأ دعوي أصيل، فإنَّ علماء أصول الدعوة يؤكدون أنَّ من حق المدعو الذي تريد دعوته أن تأتيه وتدعوه. بمعنى: أنَّ الداعي يأتيه ويدعوه إلى منهج الإسلام، ولا يصحُّ مطلقاً أن يجلس الداعي إلى الله في بيته وينتظر مجيء الناس إليه. وهكذا كان يفعل الداعي الأول، نبينا الكريم (ﷺ)، فقد كان يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلها في موسم قدومها مكة، ويدعوهم. ويذهب إلى ملاقاة من يقدم إلى مكة، ويدعوه[3].

ولعلَّ تأكيد الإمام أبي الحسن الأشعري على هذا الجانب الدعوي يقف خلفه شدة تمسكه بواجب التبليغ، الذي فرضه الله تعالى على كل من اهتدى بالحق. وهذا هو المضمون العام لواجب

---

[1] رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص١٤٢ .

[2] ينظر: تبيين كذب المفتري، ص١١٦ .

[3] ينظر: أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٣٥٨ .

issn:2071-6028

التبليغ الذي أمر الله به نبيه الكريم (ﷺ) بقوله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[1].

ومن مزايا المنهج الدعوي عند الإمام أبي الحسن الأشعري هو انتهاجه منهج الوسطية والاعتدال، فمن المعلوم أنَّ الأشعري قد اهتدى إلى منهج أهل السنة بعد أربعين عاماً قضاها منظّراً ومدافعاً عن منهج الاعتزال، وكان أمام هذا الفكر الاعتزالي فكر آخر كان سائداً آنذاك، وهو مذهب المحدثين.

فالإمام الأشعري (رحمه الله) قد اتخذ منهجاً وسطاً بين هؤلاء وأولئك. ولذلك يؤكد الكتّاب والباحثون أنَّ سر العظمة التاريخية التي تمتع بها أبو الحسن الأشعري لم تنحصر بدافعه عن منهج أهل السنة دفاعاً قوياً؛ لأنَّ الذين تولوا تلك المهمة كُثر؛ ولكن سر عظمته وعبقريته (رحمه الله تعالى) تكمنُ في كونه قد اتخذ طريقاً وسطاً بين المعتزلة، والمحدثين. فلم يذهب كما ذهب المعتزلة إلى تمجيد العقل، والإيمان بأنَّ له سلطة لا تحدُّ، وأنَّ له الكلمة النافذة في كل موضوع. ولم ير كذلك –كما رأى كثيرٌ من أهل عصره– أنَّ الانتصار للدين والدفاع عن العقيدة الإسلامية يستلزمان إنكار العقل وقوته –إلى حدٍ ما– وازدراءه، وأنَّ السكوت عن هذه المباحث التي يُثيرها المعتزلة وأضرابهم –التي نشأت بحكم تطوّر العصر والاحتكاك بالأمم– أولى وأفضل. بالعكس من ذلك، فقد عُني هذا الإمام بهذه المباحث؛ لأنها كانت تزلزل العقيدة الإسلامية، وتضعف الثقة بالدين[2].

وهذا في حقيقته منهج دعوي مبارك، فالوسطية أساس عمل الداعية، ولا يمكن له بحالٍ من الأحوال الاستغناء عنه، بل هو سرُّ نجاحه، وسبب توفيقه.

وقد لاحظت أيضاً أنَّ الإمام أبا الحسن الأشعري (رحمه الله) كان حكيماً في دعوته، يكلم الناس على وفق مستواهم وثقافتهم؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ الداعي إلى الله يجد أثناء مسيرته الدعوية طبقات مختلفة من المجتمع، مختلفة في ثقافتها، متباينة في مستواها العلمي، متنوعة في أمزجتها. ومن ثم تحتاج إلى داعية نابه، وحكيم، وواع، يفقه ما يحيط به، ويعرف من هو الشخص الذي يدعوه.

---

[1] سورة المائدة، الآية ٦٧ .

[2] ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ص١٤٥ .

issn:2071-6028

والمطلّع على تفاصيل سيرته يجده عاملاً بالكلمة الحكيمة المأثورة: ((كلموا الناس على قدر عقولهم، أتريدون أن يُكذب الله ورسوله))[1]، وكأنه كان يعتقد أنَّ الداعية إذا خاطب المدعو كلاماً فوق مستواه العلمي والعقلي، كان ذلك باعثاً على الإنكار، وتكذيب الله ورسوله. وفي ذات الوقت إذا كلم الداعية عالماً أو ذكياً أو متشككاً بدين الإسلام دون مستواه العلمي والعقلي، كان مُثيراً للشكوك، وداعياً إلى الجحود والإنكار.

ولا يمكن للداعي مراعاة المدعوين والفروق بينهم إلا من خلال حكمته، ونظرته الثاقبة. والمؤكد هنا أنَّ خصلة (الحكمة في الدعوة) من أهم خصائص ومزايا أبي الحسن الأشعري، بل إنَّ تلك الصفة كانت ملاصقة له طيلة مسيرته الدعوية. فإنَّ الحكمة هي التي تجعل الداعية إلى الله يتأمل ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يؤتون من قبلها، والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعوا إلى الله بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، ويعلم العامة ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم ومستوياتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى الله بالحكمة التي هي الطريق الوحيد للنجاح.

لقد كان فهم الأشعري الحكمة المتقدمة ((كلموا الناس على قدر عقولهم...)) فهماً أوسع، وتطبيقه لها تطبيقاً أشمل، وبهذا خدم أبو الحسن الأشعري الدعوة الإسلامية في عصره خدمة باهرة، وأعاد إلى نفوسٍ وعقولٍ كثيرة لا يعلم عددها إلا الله، الثقةَ بهذا الدين، والإيمان به من جديد.

وأريد أن أختم هنا بخصلة دعوية أخرى تميز بها المنهج الدعوي عند أبي الحسن الأشعري (رحمه الله)، وهو جرأته وصراحته وشجاعته في قول الحق في وجه كائناً من كان، فقد كان بحق داعية مقداماً لا يخشى في الله لومة لائم.

ولعلَّ مسيرته الدعوية التي قضاها في نقد أفكار ومعتقدات المخالفين لمنهج الإسلام، أو المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، خير دليل على ذلك. وإذا أردنا التمثيل لذلك، فإنَّ في

---

[1] هذه الحكمة رويت عن بعض السلف، وقد تروى على أنها حديث مرفوع. قال صاحب (أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب) ص٧٣ : للرواية طرق كلها ضعيفة. ولكن معناه في الصحيحين، فقد أخرج البخاري في صحيحه (باب العلم رقم ١٢٧) قول علي (ﷺ): ((حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله؟!)).
= وعند مسلم في مقدمة صحيحه (١١/١) عن ابن مسعود ﷺ قال: ((ما أنت محدث قوما حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)).

issn:2071-6028

صراعه مع المعتزلة دليل واضح، فإنه قد نقد المعتزلة، وبين لهم أنهم اتبعوا أهواءهم في فهم دين الإسلام، وقلدوا رؤساءهم وسلفهم تقليداً أعمى، ولم ينظروا في الكتاب والسنة، مجرداً، ولم يتخذوهما إماماً ومصدراً لعقائدهم وآرائهم. بل كلما تعارض القرآن مع ما انتحلوه من آراء وعقائد تأولوا القرآن، ولم يروا بذلك بأساً. حتى قال الأشعري في مقدمة كتابه (الإبانة): ((... إنَّ من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر من مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم يُنزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول الله رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين))[١].

ويبدو لي –والله أعلم– أنَّ الذي أذكى روح الشجاعة والجرأة في الدعوة عند الإمام الأشعري هو تحوله من الفكر الاعتزالي إلى فكر أهل السنة والجماعة، وهذا هو منهج دعوي. يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: ((ينبغي للدعاة أن يعلّموا الناس الشجاعة على إعلان ما آمنوا ويؤمنون به، والاعتراف بسوء وبطلان ما كانوا عليه؛ لأنَّ من كانت معصيته علانية فلا بد لصدق توبته من إعلانها، وإعلان البراءة من سالف معصيته، حتى يعلم الناس بتوبته ورجوعه عما سلف منه، من ظلم لنفسه بانحرافه عن مقتضيات عبوديته لله رب العالمين...))[٢].

وإذا كانت الأمة الإسلامية مكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنها مكلفة بأن تكون شجاعة في حماية الدين، ورد العادين على حدوده من المُجَّان والفجار، فإذا خذلتها قواها دون القيام بهذا العبء، فقد تخلّت أمام الله عن رسالتها، وسقطت من عينه، وحرمت من رعايته. وهذا الأمر إذا كان حقاً عاماً على أمة الإسلام فإنَّ هذا الحق على الدعاة المنتصبين لحماية الدين أثقل وأجلّ[٣].

ثم إنَّ من فضائل القوة التي يوجبها الإسلام العظيم: أن يكون الداعي إلى الله وثيق العزم، مجتمع النية على إدراك هدفه بالوسائل الصحيحة التي تقربه منه، باذلاً قصارى جهده في بلوغ مأربه، غير تارك للحظوظ أن تصنع له شيئاً، أو للأقدار أن تدبر له ما قَصُر في تدبيره هو لنفسه[٤].

خاتمة البحث

في أهم النتائج

---

[١] الإبانة عن أصول الديانة، ص٥ .

[٢] المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٣٠٢ .

[٣] ينظر: مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، ص٢٠٤ .

[٤] ينظر: خلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي، ص ١٠٠ .

issn:2071-6028

لعلَّ هذه مناسبة للوقوف على أبرز النتائج التي اضطلع بها بحثنا، وذلك من خلال بيان الآتي:

– إنَّ ثمة ترابطاً فكرياً بين العلوم الشرعية، وأنه لا يمكن استغناء أحدها عن الآخر، فهي وحدة متكاملة مترابطة، ولهذا التكامل والترابط أثر بالغ في جني ثمار الدعوة الإسلامية. وهذا الترابط ملحوظ بين الدعوة والعقيدة، فصاحب الدعوة لا يستغني عن معرفته بتفاصيل العقيدة الإسلامية حتى يبلغها للمدعوين، مثلما أنَّ العقدي لا ينفعه علمه ما لم يبلغه ويسعى جاهداً في تبليغه للآخرين.

– إنَّ هناك أهمية بالغة لعلمي (الدعوة) و(العقيدة)، بل إنَّ هذين العِلمين يعدان من أهم العلوم الشرعية على الإطلاق. وقد ثبتت أهمية الدعوة في الكتاب والسنة، وثبتت أيضاً أهمية العقيدة، وما تتمتع به من دور فاعل في إصلاح الفرد والمجتمع.

– إنَّ أول ما يلزم الداعية المسلم من عدة فكرية أن يتسلح بثقافة إسلامية ثابتة الأصول، باسقة الفروع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وإنَّ المتعين على الداعية التعرف على ثقافة الإسلام ومصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به، المنبثقة عنه. وهذا أمر منطقي؛ فإنَّ الداعية الذي يدعو إلى الإسلام لابد أن يعرف: ما الإسلام الذي يدعو إليه؟ ولابد أن تكون هذه المعرفة معرفة حقيقية عميقة، لا سطحية مضطربة.

– إنَّ صلة الدعوة بالعقيدة –فضلاً عن صلتها بالعلوم الإسلامية الأخرى– وثيقة، بل هي في غاية الوثوق، حتى أنَّ الباحث المتفحص للصور المتنوعة لذلك التكامل لا يمكن له أن يتصور انفكاكاً بينهما في أيّ مناسبة من المناسبات.وقد تنوعت العلوم الإسلامية، وتعددت تخصصاتها وموضوعاتها، وكان هذا التنوع في نشأته مبنياً على طبيعة العلوم الشرعية التي تتجه في مناحٍ ثلاثـــــة، تعـــــدّ الأســـــاس. وهـــــي: (الملـــــة) و(الشـــــريعة) و(المنهـــــاج).

– إنَّ على الدعاة إلى دين الله إيضاح واقع القوى العالمية المعادية للإسلام وعقائدها المختلفة التي تهدف للنيل من الإسلام وطمس معالمه. وتتمثل تلك القوى بالمثلث الرهيب: (اليهودية العالمية) و(الصليبية العالمية) و(الشيوعية الدولية)، وهي –في الحقيقة– تختلف فيما بينها، ولكنها متفقة علينا.

– لعلَّ مما يؤصل لحالة التكامل بين علمي (الدعوة) و(العقيدة) أننا نجد العلماء المتخصصين بالعقيدة قد اهتموا اهتمالاً بالغاً بالدعوة الإسلامية، والسعي الحثيث لنشرها، والعمل الدؤوب لبيان معالمها للمدعوين، حتى تحسَّ وأنت تقرأ سيرة هؤلاء العلماء أنك تقف أمام علماء كبار أدركوا الحالة المثالية للتكامل بين العلوم الإسلامية جميعاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

issn:2071-6028

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

١. الإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل
٢. بن أبي بشر الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى.
٣. أسس الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، للدكتور عمر يوسف حمزة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٤. استعمالات مادة الدعوة في القرآن الكريم، للدكتور سلمان سلامة، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام ابن عبد البر النمري، تحقيق: عادل مرشد، دار الإعلام، الأردن، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٦. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، محمد بن درويش بن محمد الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧. أصول الدعوة، للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٨. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.
٩. تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض مرتضى الزبيدي، دار الهداية، الطبعة الأولى.
١٠. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ.
١١. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٢. تذكرة الدعاة، الأستاذ البهي الخولي، مكتبة دار التراث، جمهورية مصر العربية، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
١٣. تفسير الطبري، المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، حققه وخرج أحاديثه محمد محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

issn:2071-6028

١٤. تفسير القرطبي، المسمى: الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله القرطبي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٥. تفسير الماوردي، (النكت والعيون)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٦. التلازم بين العقيدة والدعوة، مقالة مختصرة على الشبكة الدولية، الإنترنت، موقع إسلام ويب http://www.islamweb.net منشورة بتاريخ ٢٠٠٧/١/٢٤م.ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٧. خصائص الدعوة الإسلامية، للأستاذ محمد أمين حسن، مكتبة المنار، المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٣م.
١٨. خلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة العشرون، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٩. الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، للدكتور أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٠. الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، للدكتور محمد عبد المولى جمعة، كلية الدعوة بجامعة الزهر الشريف، القاهرة، عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٢١. الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، للدكتور محمد محمد الراوي، جمهورية مصر العربية.
٢٢. الدعوة الإسلامية، منهجها ومعالمها، للدكتور أحمد عمر هاشم، مكتبة غريب، القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٢٤. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للعلامة أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٢٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

issn:2071-6028

٢٧. شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م.
٢٨. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، عناية: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٩. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٣٠. طبقات الشافعية، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ..
٣١. العقيدة الإسلامية ومذاهبها، للدكتور قحطان الدوري، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٣٢. العلاقة بين الفقه والدعوة، للأستاذ مفيد خالد عيد، دار ابن حزم، المملكة العربية السعودية.
٣٣. الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٣٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ.
٣٥. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، جمهورية مصر العربية.
٣٦. لسان العرب، للعلامة محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
٣٧. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣٨. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٣٩. المدخل إلى علم الدعوة، دراسة منهجية شاملة) للدكتور محمد أبي الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٤٠. المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، للدكتور علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

issn:2071-6028

٤١. مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، للشيخ الإمام محمد الغزالي، دار القلم، سورية، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٢. المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٤٣. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للأستاذ الكبير الشيخ علي محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٤٤. الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، تقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

issn:2071-6028